وقال في ترجمة عبد الجليل ابن وهبون المرسي ركب باشبيلية ذو رقاع نهرها الذي لا تدانيه الفرات
ولا تضاهيه الزاب، في ليلة تنقبت في ظلمتها، ولم يبد وضح في دهمتها، وبين ايديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما
في اللجة، وزاد في تلك البهجة، فقال كانما الشمعتان اذ سمتا، جيد غلام محسن الغيد ه
في حسن النهر من شعاعهما، طريق نار الهوى الى كبدي ه وكان معه غلام البكري معاطيا للراح
مجاريا في ميدان ذلك المراح، فلما جاء عبد الجليل بما جا، وحل للابداع الجوانب والارجا، حسد على ذلك
الارتجال، وقال بين البطاء والاستعجال، انجب بمنظر ليلة البلا، تجني بها اللذات فوق الماء،
في زورق يزهي بغرة اغيد، يختال مثل البانة الغناء ه قرنت يداه الشمعتين بوجهه، كالبدر بين النسر والجوزاء
انتهي ه وقال الفتح رحمه الله دعت يوما الى منية المنصور بن ابي عامر ببلنسية وهي منتهي الجمال ومزهي
الصبا والشمال، على وهي بنايها، وسكني الحوادث برهة بفنايها، فوافيتها والصبح قد البسها قميصه،
والحسن قد شرح بها عويصه، وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض ابوابه، وتوشحت بالازاذ الذهبي اثوابه
يخترقه جدول كالحسام المسلول، وينساب فيه انسياب الايم في الطول، وضفاته بالادواح محفوفة،
والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة، وفيه يقول علي بن احمد احد شعرايها، وقد حله مع طايفة من وزرايها،
قم سقني والرياض لابسة، وشيا من النور حاكه القطر ه في مجلس كالسماء لاح به، من وجه من قد هويته بدر
والشمس قد عصفرت غلايلها، والارض تندى ثيابها الخضر ه والنهر مثل المجرة حف به، من الندامي كواكب زهر
نحللت في ذلك المجلس وفيهم اخدان، كانهم الولدان، وهم في عيش لدن، كانهم في جنات عدن، فاتخذتهم
ركايبي، وعقلتها، وتقلدت بهم رغايبي، واعتقلتها، والمنى تنتظم بحسنه طول ذلك اليوم، ووافي الليل
فذدنا عن الجفون طروق النوم، وظللنا بليلة كان الصبح منها مفقود، والاغصان تميس كانها قدود،
والمجرة تتراءي نهرا، والكواكب تخالها في الجو زهرا، والثريا كانها راحة تشير، وعطارد لنا بالطرب بشير،
فلما كان من الغد وافيت الرئيس ابا عبد الرحمن زايرا فافضنا في الحديث الى ان افضي بنا الى ذكر منتزهنا بالامس
وما تعيناه فيه من الانس، فقال لي ما بهجة موضع قد بان قطينه وذهب، وسلب الزمان بهجته وانتهب،
وباد فلم يبق الا رسمه، ومحاه الحدثان فما كاد يلوح الا وسمه، عهدي به عند ما فرغ من تشييده، وتنوهي
في تنسيقه وتنضيده، وقد استدعانا اليه المنصور في يوم حلت فيه الشمس برج شرفها، واكتست الارض
بزخرفها، فحللت به والدوح تميس معاطفه، والنور يخجل قاطفه، والمدام تطلع به وتغرب، وقد حل به
قحطانه ويعرب، وبين يدي المنصور مايه غلام ما يزيد احدهم على العشر غير اربع، ولا يحل غير الفواد من مربع،
وهم يديرون رحيقا، خلتها في كاسها درا وعقيقا، فاقمنا والشهب تغازلنا، وكان الافلاك منازلنا،
ووهب المنصور في ذلك اليوم ما يزيد على عشرين الفا من صلات متصلات، واقطع ضياعا ثم توجع لذلك
العهد، وافصح ما بين ضلوعه من الوجد، وقال سقيا لمنزلة اللوى وكثيبها، اذ لا ارى زمنا كازماني بها، انتهي
وما احسن ما كتب به الفتح الى بعض الملوك يصف نزهة، يعني بعض منتزهات الاندلس المونقة، ويذكر
استضافته فيها بشموس المسرة المشرقة، وهو اطال الله بقاء ناصر الدولة، ومحيي الملة، الذي حسن
بلقياه العيش، وتزين بمحياه الجيش، وراق باسمه الملك، وجرت بسعده الفلك، واناربه الليل الدامس
ولاح له الاثر الطامس، وجرى الدهر لسطوته خايفا، وغدا السعد بعقوته طايفا، والزمان ببرود علياه
ملتحف، والثغور نداه مرتشف، ولا زال المجد يتملكه، والسعد يحمله فلكه، اما وقد وافقتني ايامه ابدع الله
وفاقها، ورايت للبيان عندي نفاقا، فلابد ان ارسل كتابيه افواجا، وافيض من بحره امواجا، واصف ما شاهدته
من اقتداره، وعاينته من حسن ايراده واصداره، بمقال افصح من شكوى المحزون، واملح من ديباج الحزون،
وقد كان ابدع الله كلفا بالدول وبهايها، لهجا بالبلوغ الى انتهايها، لا تحل دولة او تنقضيها، وحظوة عليا
اقتضيها، فكل ملك قد او قصته سرا وجهرا، وكل مملك قلبته بطنا وظهرا، والنفس تصد منه صدود الجبان عن
الحرب، والملايكة الكرام عن الشرب، الى ان حصلت لديه، ووصلت بين يديه، فقلت الان امكنني من راح
البغية الانتشا، وتمثلت الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا،
وما زلت اسايره حيث سار، واخذ اليمين تارة وتارة اليسار، وكل ناحية تسفر لي عن خد روض ازهر،
وعذار نبت اخضر، وتبسم عن ثغر حباب، في نهر كالحباب، وترفل من الربيع في ملابس سندسيات، وتهدي الينا
نوافح مسكيات، وتزهي من بهجتها باحسن منظر، وتتيه بجلباب ابدع من برود الشباب الانضر، فجلنا فيها
يمينا وشمالا، واستخبرنا عن اسرارها صبا وشمالا، ثم مال بنا ابدع الله عن هذه المسارح السنية، والمنازل
البهية، الى احدى مبانيه الخالية، وبقاعه العالية، فحللناها والايام تدعي من جلبابه، واليوم قد اكتهل
بعد شبابه، فنزلنا في قصور يقصر عنها جعفري جعفر، وقصور بني الاصفر، تهدي من ثناياها برد المحيا
وتبدي من شذاها مسكا وعنبرا، وقد لاحت من جوانبها نجوم الكواس، لو راها ابو نواس لجعلها شعاره
ووقف على نعتها اشعاره، ولم يتخذ سواها نجمه، ولا ابنة خماره بعد نجمه، فتعاطيناها والسعد لنا
خادم، وما غير السرور علينا قادم، وخدود سقاتها قد اكتست من سناها، وقدودهم تتهدل علينا بجناها،
ونحن بين سكر وصحو، واثبات لها ومحو، واصاختنا الى نديم ووزير، والتفاتنا الى ملك ووزير، الى ان ولى
النهار فحيانا، واقبل الليل المميت فاحيانا، فوصلناه بلهو وقصف، وعيش يتجاوز كل وصف، فكان نوره
معتم، او كان ليلنا من الظلام معتم، ولما سل الفجر حسامه، وابدى لعبوس الليل ابتسامه، وجاء يحدوه
اختيالا، ويمحو من بقايا الليل نيالا، قمنا نتناوب المسير، وكلنا في يد الشوق اسير، فسرنا ذا الملك الاجل ابقاه

والايام

والايام تخدمنا، فلا زالت الايام به زاهية، ومن سواه لاهية، ما مر وكر اعقاب، وكان للشهور فرد
واعقاب، انتهي ه وقال الفتح في ترجمة الراضي بالله ابي خالد يزيد بن المعتمد بن عباد بعد كلام ما صورته
واخبرني المعتمد بالله ان اباه المعتضد وجه يعني الراضي الى شلب واليا وكانت ملعب شبابه ومالف
احبابه، التي عمر بجودها غلاما، وتذكر عهودها احلاما، وفيها يقول يخاطب ابن عمار وقد توجه اليها
الا حي اوطاني بشلب ابا بكر، وسلهن هل عهد الوصال كما ادري ه وسلم على قصر الشراجيب عن فتى، له ابدا شوق الى ذلك القصر
وقصر الشراجيب هذا متناه في البها والاشراق، مباه لزوراء العراق، ركضت فيه جياد راحاته، واومضت
بروق امانيه في ساحاته، وجرى الدهر مطيعا بين بكره وروحاته، ايام لم تحل عنه تمايمه، ولا خلت من
ازاهير الشباب كمايمه، وكان يعتدها مشتهى آماله، ومنتهى اعماله، الى بهجة جنباتها، وطيب نفحاتها وهباتها
والتفاف خمايلها، وتقلدها بنهرها مكان حمايلها، وفيها يقول ابن اللبانة
اما علم المعتمد بالله انني، بحضرته في جنة شقها نهر ه وما هو نهر اعشب النبت حوله، ولكنه سيف حمايله خضر
فلما صدر منها وقد حسنت اثاره في تدبيرها، وانسدلت رعايته على صغيرها وكبيرها، نزل المعتمد على شرفها
لاوبته، ومعرفا بسمو قدره لديه ورتبته، واقام يومه عنده مستريحا، وجرى في ميدان الانس بطلا مشيحا،
وكان واجدا على الراضي فجلت الحميا انفته، ومحت غيظه عليه وحنقه، وصورته له عين حنوه، وذكرته بعهد
نجح الى دنوه، وبين ما استدعي ووافي، مالت بالمعتمد نشوته واغفي، فالفاه صريعا في منتداه، طريحا
في منتهى مداه، فاقام يجاهده، يرتقب انتباهه، وفي اثناء ذلك صنع شعرا اتقنه وجوده، فلما استيقظ انشده
الان تعود حياة الامل، ويدنو شفاء فؤاد معل ه ويورق للعز غصن ذوي، ويطلع للسعد نجم افل
فقد وعدتني سحاب الرضى، بوابلها حين جادت بطل ه دعوت فطار بقلبي السرور، اليك وان كان منك الوجل
كما يستطير بحس الوغى، اليها وفيها القنا والاسل ه ايا ملكا امره نافذ، فمن شاء عز ومن شاء ذل
فلا غرو ان كان منك اغتفار، وان كان منا جميعا زلل ه فمثلك وهو الذي لم يزل، يجازي بحلم على من جهل
انتهي ه وقال في ترجمة المتوكل على الله بن الافطس ما صورته واخبرني الوزير ابو محمد بن عبدون ان
الجدب توالى بحضرته حتى جفت مذانبها، واغبرت جوانبها، وغرد المكا في غير روضه، وخاض الناس بالياس
اعظم خوضه، وابدت المخايل عبوسها، وشكت الارض للسماء بوسها، فاقلع المتوكل عن الشرب واللهو،
وترك ملابس الخيلاء والزهو، واظهر الخشوع، واكثر السجود والركوع، الى ان غيمت الجو، وانسجم النو، وصاب
الغمام، وترنمت الحمام، وسفرت الازهار، وزهت النجود والاغوار، واتفق ان وصل ابو يوسف المغني
والارض قد لبست زخارفها، ورقم الغمام مطارفها، وتتوجت الغيطان والربى، وارجت نفحات الصبا
والمتوكل ما نفض لتوبته ختاما، ولا نقض من قلبه منها قتاما، فكتب اليه شعر
الم ابو يوسف والمطر، فيا ليت شعري ما ينتظر ه ولست بآب وانت الشهير، بحضور نديك فيمن حضر
ولا مطلعي وسط تلك السماء، بين النجوم وبين القمر ه وركضي فيها جياد المدام، محثثة بسياط الوتر
فبعث اليه مركوبا وكتب اليه
بعثت اليك جناحا فطر، على خفية من عيون البشر ه
على ذلل من نتاج البروق، وفي ظلل من نسيج الشجر ه فحسبي ممن ناي من دنا، ومن غاب كان فدا من حضر
فوصل القصبة المطلة على البطحا، المزرية بمنازل الروحا، فاقام منها حيث قال عدي بن زيد يصف مصنعا
في قباب حول دسكرة، عندها الزيتون قد ينعا ه ومرهم من الشهود ديوم ماهم لذي رعين ولا يقودون
تبل عيونهم لعين، واخبرني انه سايره الى شنترين قاصية ارض الاسلام السامية الذرى والاعلام
التي لا يروعها صرف، ولا يفرعها طرف، لانها متوعرة المراقي، معفرة للراقي، متمكنة الرواسي والقواعد
من منعة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد، قد اطلت على خمايلها اطلال العروس من منصتها
واقتطعت من الجو اكثر من حصتها، فروا بانفس قطر سالت به جداوله، واختالت فيه خمايله، فما لا يجول
الطرف منه الا في حديقة، او بقعة انيقة، فتلقاهم ابن مقانا قاضي حضرته، وانزلهم عنده، واورى
لهم بالمبرة زنده، وقدم لهم طعاما، واعتقد قبوله منا وانعاما، وعند ما طعموا قعد القاضي بباب المجلس
رقيبا لا يبرح، وعين المتوكل حيا منه لا تجول ولا تمرح، فخرج ابو محمد وقد برمه بتثقيله، وحرمه راحة رواحه
ومقيله، فلقي ابن خيرون منتظرا له، وقد اعد لحلوله منزله، فسار الى مجلس قد ابتسمت ثغور نواره
وخجلت خدود ورده من زواره، وابدت صدور اباريقه اسرارها، وضمت عليه المحاسن ازرارها
والماحضر وقت الانس وحينه، وارجت له رياحينه، وجد من يرقب المتوكل حتى يقوم جليسه، ويزول
موحشه لا انيسه، فاقام رسوله وهو مكانه لا يريمه، قد لازمه كانه غريمه، فما انفصل حتى ظن ان عارض
الليل قد فصل، فلما علم ابو محمد بانفصاله، بعث ابو محمد الى المتوكل قطيع راح، وطبق ورد، وكتب معهما
اليكها فاجتلها منيرة، وقد جنا حتى الشهاب الثاقب ه واقفة بالباب لم ياذن لها، الا وقد كاد ينام الحاجب
بعضها من المخاف جامد، وبعضها من الحياء ذايب
فقبلها منه رحمه الله وعفا عنه وكتب اليه
قد وصلت تلك التي زففتها، بكرا وقد شابت لها ذوايب ه فهب حتى نسترد ذاهبا، من انسنا ان استرد ذاهب
وركب اليه وتعلل معه ما كان بالمجلس بين يديه، وباتا ليلتهما لا يريمان السهر، ولا يشيمان برقا الا الكاس
والزهر، ثم قال بعد كلام واخبرني الوزير الفقيه ابو ايوب بن ابي امية انه مر بعض ايامه بروض
مفتر المباسم، معطر الرياح النواسم، قد صقل الربيع حوذانه، وانطق بلبله وورشانه، والحف غصونه برودا
مخضرة، وجعل اشراقه للشمس ضره، وازاهره تتيه على الكواكب، وتختال في خلع الغمايم السواكب، فارتاح

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)